احمد الجابر آل الصباح

الكويت

حدودها : شرقاً خليج العجم . شمالاً وغرباً وجنوباً خط يبتدىء عند ملتقى الخطين الثلاثين من العرض الشمالي والثامن والاربعين من الطول الشرقي فيمتد في شكل نصف دائرة ويمر بالشق غرباً والشُقيق جنوباً وبين جبلي بُرقان والقرين الى رأس القَليّة على الخليج . اما منطقة الحياد بين الكويت ونجد فهي من رأس القلية الى خبرة الدويش ومنها في خط يمتد جنوباً بشرق الى قرب الخط الثامن والاربعين من الطول الشرقي ومن هذه النقطة الى عين العبد فرأس المشعاب على الخليج .

مساحتها : اربعة الاف ميل مربع .

عدد سكانها: نحو مئة وعشرين الف نفس منهم ثمانون الفاً في مدينة الكويت والباقي من العشائر خارجها .

اهم مدنها : الجهرة وجزيرة فيلكه والدمنه والغنطاس وابو حليفة والشعَيبة . وفي برها اماكن باسماء معروفة كالوَبرة عند الحدود الشمالية والصبَيْحيَّة في الجنوب وخبرة وام الرؤوس وغيرها . وهذه كلها اماكن مياه يرتادها عرب العشائر .

مذاهبها : اهمها السنة ثم الشيعة ، وقليل من الفرس والمسيحيين واليهود .



سمو الشيخ احمد الجابر آل الصباح

في الكويت

القافلة في البادية ـ اهمية الانسان في القفار ـ وهم لذيذ ـ دهشة الذ ـ العود الى البصرة ـ الصالحية جنة ـ السماط والسف ـ الكمال غاية الحياة القصوى ـ فشلت في الفحص ـ عدت من نجد استاذاً ـ سور الكويت ـ المقابلة الملكية في الفلاة ـ سمو الشيخ احمد الصباح ـ القصر والنتنة فيه ـ مفاجآت الترف ـ البقولات ـ بندورة الكويت ـ الاجادة لدى السماط والشهادة ـ كرسي فيه الكفر بالله ـ جحيم يتبع النعيم ـ الهواء الاصفر ـ طبيب من بيروت ـ خبر الشيخ خزعل والعافية .

كنت قد عاهدت « خوياي » ان ادخل واياهم الى الكويت راكباً الذلول ، ولكننا قبل ان نصل الى المدينة رأينا سيارة قادمة منها فوقفت اذ دنت منا ، فقال هذلول يخاطبني : من الشيخ احمد . نوخ ، نوخ .

أنخت آسفاً لاني ادركت في الحال ان لا بد من ركوب السيارة فأخلف بوعدي ، وأحرم لذة كنت أعلل النفس بها . ليست القافلة في البادية غير قافلة مهما كان عددها ، وليس الراكب فيها اياً كان غير واحد من المسافرين . لا اهمية للانسان والحيوان في القفار . او ان لاثنين واحد في فسيح مهالكها .

ولكن القافلة ساعة تدنو من العمران ، من الحضارة ، تتغير في نفسيتها فيعظم شأنها ، فتدخل بوابة السور وقد اختلط في قلبها الكبر والسرور ، وتسير في اسواق المدينة كأنها موكب من مواكب

النصر والفخار ، وكأن كل واحد من الركب امير على عرشه العـــالي او قائد عائد من ساحة الوغى . هو وهم في عجب ولا مراء . ولكنه وهم جميل كان يستوقف العقل مني كل مرة نصل الى مدينة كما تستوقف العين صورة جميـــلة . بل كان يلذ لي ولا غرو اكثر من سواي لاني حديث العهد به .

لذلك اسفت عندما انخت ذلولي خارج الكويت . ولكني دهشت وسررت ، فنسيت ما كنت اعلل به النفس ، اذ رأيت صديقي القديم يوسف السالم جلبي آل بدر ومعه الشيخ عبدالله خليفه آل الصباح ، وقد جاءا من قبل سمو الشيخ احمد يحملان اليّ كتاب السلام والترحيب .

كان آخر عهدي بيوسف جلبي في البصرة عنـــد صديقنا الاديب الفاضل الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسي يوم أدب لنـــا مأدبة فاخرة في بيته « الصالحية » على نهر الصالحية هنـــاك . فقلت متصرفاً بالبيت المأثور :

والصـــالحية جنـــة والصالحون اليها أمُّوا (١)

كنا يومئذ عشرين ونيفاً من الصالحين – الصالحين للنزال والطعان وكان يوسف قد شحذ سلاحـــه جالساً الى جنبي يسفُّ الارز سفـاً عجيباً . وانا الطالب في هذه الطريقة اعجب به واتمنى ان يكون لي جزء مما له من المهارة والاقتدار . سألته عما اذا كنت استحق الشهادة في السف البسيط وهو ان تأخـذ شيئاً من الارز فتعجنه بين اصابعك وتدفعه بالابهام الى فمك . فاستعرض سفّي ثم قال : لا يزال ينقصك شيء من العلم والاتقان . عينك . قال هذا ومد يده الى الارز فادارها

(١) – استغفرك يا سيدي الاستاذ اني اعلم ان أم تتعدى بذاتها ولكن النكتة الشعرية تعتذر « اليها » .

فيه . كأنه يحـــدد دائرة هي ملكه ، وقبض على كتلة منــه كبيرة قد ملكها ، ثم رفعها وجعلها ، وهو يعصر منهـــا السمن ، اكرة متماسكة شديدة فقذف بها اذ ذاك الى فمه دون ان يسقط منها او يتبقى بين انامله حبة واحدة فقلت : سبحان الله الذي جعل الكمال غاية الحياة القصوى . فلا شيء اجمل في الحياة من كمال في صناعة او في فن .

قلت ليوسف جلبي ، بعد ان شاهدت منه هذه البراعة ، اني مسافر الى نجد فاتمرن هنـاك ، وسأعود ان شاء الله اليه ليعطيني الشهـادة . وما كان في الحسبان ان ستجمعنا التقادير ثانية ، فتصير النكتة بعد اربعة اشهر حقيقة مضحكة . قال يوسف ونحن سائرون في السيارة نعيد تلك الذكرى : سنفحصك اليوم في القصر ونعطيـك الشهـادة باذن الله .

اول ما يسترعي النظر في الكويت اذ يصل المسافر من البر اليها ذلك السور الكبير الذي بناه اهلها بعد وقعة الجهْرة ليصدوا هجمات الاخوان . وهو سور يحيط بالمدينة من جهات البر كلها ، طوله خمسة اميال وعلوه نحو اربعة امتار وسمكه في بعض الاماكن مترٌ ويزيد ، فيه المعاقل والكوى للرمي والدفاع ، وله بوابات ثلاث يقيم الحرس عندها ، وتقفل في الليل . لم تنفق الحكومة روبيـة واحدة على بناء هذا السور ، فقد تبرع اهل الكويت كلٌ بما يستطيع من عمل او مال واتموا البناء في مدة شهرين . انه لمن الاعمال المدنية العامة الرائعة خصوصاً في البلاد العربية .

دخلنا المدينة في الساعة الاولى من ذاك النهار ، فوقفت السيارة في الساحة الكبرى ، فترجلنا ومشينا تجاه صف من الناس جالسين في الفلاة على مجالس من الحجارة والطين الى حائط بيت صغير . فوقف اذ

وصلنا من كان جالساً في الوسط ووقف على اثره الجميع . هو سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح حاكم الكويت . خرج من قصره بحاشيته وبعض اسرته يستقبلنا في المكان الذي يجلس فيه الناس . ليس احب الى السائح وليس اقرب الى الديموقراطية الحقة والمساواة من هذه المقابلات الملكية في الفلاة .

الشيخ احمد في العقد الرابع من العمر ، ربع القامة ، دقيق الملامح ، حسن الخلق والبزة ، لطيف الاشارة والحديث وهو اقرب في هيأته الى الشكل الآري منه الى السامي . فلو كان في غير النعل والثياب العربية لظننته هندياً من البنجاب او اوروبياً من بلاد الاسبان .

هنأني بوصولي واعرب عن دهشته لسفري في البلاد العربية هذه السفرة الطويلة . ثم قال : العرب انفسهم يكبرون هـــذه الطريق ويخافونها . ومنهم من لا يقوى على تحمل مشقاتهـــا . وكيف تحملتم ركوب الذلول كل هذه الايام ؟ نهنئكم يا استاذ ونرحب بكم . ولم يشأ ان يطيل الجلسة الاولى رغبة في راحتي . فبعد ان تناولنا القهوة أمر من لاقوني ان يرافقوني الى القصر .

وكانت هناك الفتنة الكبرى . لا اريد الفتنة ما فيه نسوة او دين او سياسة ، وقد كنت بعيداً عنها كلهـــا . ولكني فتنت . اجل ، فُتنت بفاجآت الترف والرفاهيـة ، انا الذي اقمت عشرين سنـة في نيويورك ، في تلك المدينة التي تزدحم وتتبذل في نُزُلها نوافل العيش ونفائس الصناعة والفنون ، تلك التي كانت تنحصر في الماضي خصوصاً باوروبا في قصور الاشراف والاعيان ، وقد اصبحت اليوم في نيويورك في متناول كل من يستطيع ان يبذل بعض المال .

تالله ما تفعل البيداء وخشونة العيش . دخلت القصر في الكويت كأني بدوي لم يرَ في حياته قصراً جميـــلا ، تزينه الاعمدة والقناطر ، ولم يجلس مرة في قاعة مفروشة بالفاخر من الرياش. وعندما جاء الخدم الواحد بعد الآخر يحملون الاطباق ، فوضعوها على السجادة وجلست انا ورفيقي اليها ،فتنت بما احاط صحفة الارز من الالوان المطبوخة بالبقولات .

البقولات ! بعد الارز والرمل واللحم والتراب التي كان يطبخهـا لنا مسفر ومعاوناته الرياح ، انها من النعم التي يغتفر فيهـــا الابتهاج والاسراف . نحرت الالوان نحر العاشق المشتاق، وخصصت بالاسراف بندورة الكويت التي يشحنون منهـــا الى البصرة ، وهي صغـيرة مدملكة ، يطبخونهـا بقشرها دون ان تمسها السكين . ثم سمك الكويت المشهور الذي يشبه سمك المشط في طبرية ، ولكنه أرق وادسم . ثم اصناف الحلوى ، وما اشد حلوها واكثر سمنها واسرارها. وعندما نهضنا نغسل ايدينا وقف امامي يوسف السالم آل بدر ، وهو كما اشرت من رجال السماط المشهورين في البصرة والكويت ، فصافحني وقال : اهنئك بما احرزت . فقد صرت منا ليس في سف الارز فقط بل في سف السماط .

وبعد ان ودعني في تلك الليلة خرجت الى الايوان ذي العمد ، المشرف على الخليج ، فأخذت بمشهد البحر والسفن المسربلة بضوء القمر، وظللت حتى منتصف الليل جالساً في كرسي هنـدي [1] ، وانا في

---

(١) اذا كنت تبغي كرسياً تستريح فيه ، وتنام فيه ، وتسيء الادب فيه ، فليس اصلح من ذاك الكرسي الهندي وقد يمل لظهره درجات فتبسطه قدر ما تشاء ، ولجانبيه عضاضتان ترفع عليها ساقيك ، فتنسى انك انساناً وتكفر بالله .

في ثوب النوم ، جلسة اميركية — وما اخلق ذاك الكرسي بها — رافعاً للقمر رجلي ، مطلقاً العنان للذيذ الاحلام . فما احسست بهواء البحر البارد الرطب الا بعد ساعة ، فدخلت وانا ارتعش الى غرفة النوم .

نمت قليلًا واستفقت ائن من شدة الالم . عاد السماط في بطني ناراً ، واستحال النعيم جحيماً . فكنت منذ تلك الساعة حتى الفجر احس بشيء يتعقد فيَّ ثم ينحل ، ثم يتقطع ، ثم يذوب ، فاذوب معه وأكاد من شدة الوجع اموت . بل عاينت الموت في تلك الهيضة التي تندر في غير الوباء . الله ! يا رب المسرفين والمقترين ، يا ارحم الراحمين ، أفي الهواء الاصفر نهاية هذه الرحلة ونهايتي . او انها بندورة الكويت تفعل ما لا تفعله الادوية والاملاح .

جاءني في الصباح يوسف السالم جلبي فحزن لحالي وبادر الى الطبيب . وجاء بعد ساعة الطبيب فاثبت الجرم على البندورة وقال : ان لها شريكة هي الحمى . — وللاثنين عدوة هاكها . غير ان الطبيب نفسه نفعني اكثر من عقاقيره . فقد استأنست به ايما استئناس لانه من لبنان واسمه شبيه باسمي . هو الدكتور ريحان من دير القمر . وما الذي قذف به الى الكويت؟ اخبرني انه في معية السردار اقدس الشيخ خزعل خان الذي جاء يقضي بعض الشتاء في قصره خارج المدينة . فكان الخبر هذا كالوردة الحمراء في ضمة من الريحان ، لاني كنت عازماً على زيارة الشيخ خزعل في المحمّرة فسررت جداً بقربه مني ، وعادت في ذاك النهار العافية مثلما ولّت ، وهي تحمل باحدى يديها ادوات العمل وبالاخرى مصباح الامل .

آل الصباح [1]

اقسام العرب – ربيعة وعنيزة آل صباح – تاريخ الكويت – اول من حكمها من آل صباح سنة ١١٩٠ هـ – اولاد صباح – حكم عبدالله – حكم محمد – شقاق في بيت آل سعود – تدخل الدولة – فتح الحساء – مساعدة آل صباح الدولة – الشيخ مبارك – الفرق بينه وبين اخويه – الخلاف – الفاجعة – ذبحة محمد وجراح – التجاء اولاد المقتولين الى والي البصرة – التجاء مبارك الى والي بغداد – تدخل الحكومة البريطانية – قيام يوسف آل ابراهيم على مبارك – هجومه على الكويت – سفره الى الحجاز – ما عرضته الدولة على مبارك – رفضه والتجاؤه الى الانكليز – مدرعة من ابي شهر – انتصار مبارك – يوسف آل ابراهيم في جبل شمر – الحرب بين مبارك وبين ابن الرشيد – وقعة الطرفية – ظهور ابن سعود – وفاة ابن الرشيد – وابن آل ابراهيم – الجو ينجلي – مبارك الحاكم بامره اتفاقه مع الانكليز – حكم الشيخ جابر – حكم الشيخ سالم – اخلاقه – سوء سياسته – وقعة الجهرة – طريقة انتخاب الحاكم .

تقسم العرب كلها الى قسمين ، قحطان وهم العرب العرباء وعدنان وهم العرب المتعربة ، وتقسم عدنان الى فرعين مضر وربيعة . اما مضر فسكنت الحجاز وكانت لها الرئاسة في مكة ، واما ربيعة فكانت منازلها في نجد اي بين اليمامة والبحرين والعراق .

وهي اي ربيعة تقسم الى عمارتين ، بني كلب وبني اسد ، ويتفرع بنو اسد الى بطنين هما جديلة وعنزى . وعنزى أخو وائل الذي تنتسب

---

(١) للشيخ يوسف آل عيسى وللسيد عبد الرحمن النقيب من الكويت الفضل علي ببعض المعلومات في هذا الفصل والفصل الذي يليه .

اليه البيوت الثلاثة الحاكمة اليوم في نجد والبحرين والكويت ، اي آل سعود وآل خليفة وآل الصباح .

كانت عنزى تقطن اولاً عين التمر في بر العراق على مسيرة ثلاثة ايام من الانبار . ثم انتقلت الى نواحي خيبر فاقامت هناك ومعها احياء من طي ، فصارت تنتجع وتشتي معهم في نجد . انها من اكبر قبائل العرب وهي تقسم الى افخاذ منها جميلة ، وتقسم جميلة الى فروع منها الشيملان ، وتقسم الشيملان الى عشائر اكبرها واشهرها آل الصباح .

اما الكويت فتاريخها القديم غامض مجهول . وقد لا يكون لها ما يهم منه قبل ان هجر اليها آل الصباح قادمين من خيبر منذ نحو مئتين واربعين سنة . والكويت تصغير كوت والكوت في اصطلاح اهل تلك النواحي هو بيت محاط ببيوت صغيرة . كانت هذه الناحية يومئذ لبني خالد يجمعون فيها زادهم اذا ربعوا في الحجرة ، فجاء آل الصباح ، وسكنوها باذن منهم .

ثم انتُخب الصباح حاكماً على العشائر فيها وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة ، لان المرجح هو انه توفي سنة ١١٩٠ فخلفه ابنه عبدالله الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

كان الشيخ عبدالله الصباح اول من حكم الكويت من هـذا البيت . حكمها نحو اربعين سنة ، فاتسعت في عهده وشاع ذكرها في الخليج . ثم خلفه ابنه جابر عام ١٢٢٩ هـ وخلف جابراً ابنه الصباح عام ١٢٧٦ هـ

اما نوع الحكم فقد كان قبل الصباح الثاني ابن جابر شورياً يشترك فيه رؤساء العشائر ، فلا يقدم الحاكم على أمر مهم قبل ان يستشيرهم

وهم يستشيرون الجماعات . ولكن هذه الشورى بدأت تضعف في عهد الصباح الثاني حتى تقلص ظلها تماماً في ايام ابنه مبارك الذي حكم بامره، وخصوصاً في العقد الثاني من حكمه .

من اولاد الصباح الثاني ثلاثة تولوا الحكم بعده. الاول عبدالله الثاني الذي حكم ستاً وعشرين سنة ، ثم محمد الذي حكم اربع سنوات ، ثم مبارك الذي استمر حكمه احدى وعشرين سنة . ولكن مباركاً ، وهو على عسفه وشذوذه حاكم الكويت الاكبر ، حاز قبل ان تولى الحكم شهرة في القيادة تقدمت شهرته السياسية .

ففي سنة ١٢٨٧ هـ — ١٨٧٠ م حدث شقاق بين ابني فيصل آل سعود عمّي السلطان عبد العزيز ففاوض احدهما الدولة العثمانية بوساطة واليها في بغداد يومئذ مدحت باشا ، فاغتنم مدحت الفرصة وارسل جيشاً الى القطيف ففتحها ، ثم الى الاحساء فحاصرها واستولى بعدئذ عليها .

وقد كان لمشايخ الكويت الفضل الاكبر في فتح الاحساء . فقاد الشيخ مبارك الذي كان يومئذ في ريعان الشباب جيشاً كبيراً من العشائر في طريق البر ، مرافقاً القائد العثماني بحراً . وفي ذاك الحين الى حين الفاجعة التي اولت مباركاً الحكم كانت العلائق بين حكام الكويت والدولة العثمانية شبيهة بغيرها مع العشائر الموالية لها . فقبلت بان يكون لها سيادة اسمية في الكويت وان يعترف آل الصباح بهذه السيادة .

بعد وفاة الشيخ عبدالله تولى الحكم اخوه محمد وكان مباركاً واخوه جراح طامعين به . على ان جرّاحاً والى محمداً وكان فعلاً لا اسماً شريكه في الحكم . فاشتدت المنافسة بين مبارك واخويه وكان

لها من غير السياسة اسباب اخرى . اما مبارك فقد كان ولا شك ابعد الاخوين طموحاً ، واشدهما عزماً ، واحدّهما طبعاً ، وامضاهما بأساً. بيد انه كان متهوساً متسرعاً في اعماله . وكان جراح صاحب النفوذ الاكبر في الحكم يحب المال بقدر ما يحب مبارك المجد والشهرة . بل كان الاول بخيلاً والثاني مبذراً . الا ان النفوذ الاكبر في العشائر كان لمبارك ، فنزع الى الغزوات ، فغدا في حاجة الى المال دائمة. وكان اخواه محمد وجراح ينعيان عليه دائماً اراءه واعماله ، ويسيئان معاملته ، واحياناً يمسكان عنه ما تقتضيه نفقاته الخصوصية . فصبر مبارك بضع سنين على هذه المعاملة وابى ان يصبر على الدوام . وكان يرى فوق ذلك ان اخويه هما عثرة في سبيل المجد الذي يبغيه لآل الصباح وللكويت . فعندما فرغت كأس الصبر ، وامتلأت كأس التغيظ والنقمة ، عزم على ان يريح نفسه وآل الصباح والكويت من ذينك الاخوين ، فنهض ذات ليلة للامر ونهض معه ابنه ، وكل منهما يحمل بندقيته ، فقتل مبارك اخاه محمداً وقتل ابن مبارك عمه جرّاحاً . وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ .

ضجت الكويت لهذه الفاجعة ثم اذعنت للشيخ مبارك صاحب الحكم فيها . اذعنت الكويت الا ابناء القتيلين واشياعهم ورجلاً اخر سيجيء ذكره . فرّ ابناء جراح ومحمد هاربين الى البصرة فشكوا امرهم الى واليها الفريق حمدي باشا . وكان يومئذ رجب باشا والي بغداد فسبق مبارك ابناء اخويه الى ذاك المقام الاعلى . فتمكن بوساطة بعض رجاله من استمالته اليه ، فكتب رجب الى الاستانة يقول ان الحادث هو من الحوادث العادية المألوفة بين البدو ، وخير للدولة ان لا تتدخل في الامر لان ذلك يؤدي الى تدخل الانكليز .

ولكن الانكليز لم ينتظروا احداً ليتقدمهم في عمل هم دائماً متأهبون له . فكان ان ابناء جرّاح ومحمد قد لجأوا ايضاً الى قنصل بريطانيا في البصرة فنصرهم على مبـــارك ، وسعى في سبيلهم وسبيل السياسة الانكليزية في الخليج سعياً ملحاحاً اثمر ذاك الامر النهائي الذي اصدرته الدولة العلية ، فخُيِّر ابن صباح الكبير بواحد من ثلاثة امور : اما ان يحضر الى الاستانة فيعينه المابين عضواً في مجلس شوري الدولة ، واما ان يسافر الى البلد الذي يريده فتخصه الحكومة بمعاش دائم ، واما القوة فتستخدمها عليه اذا رفض ان يعمل باحد الامرين . مما لا ريب فيه ان الدولة العلية اصدرت هذا الحكم ارضاء لبريطانيا . ومما هو في دائرة اليقين ايضاً ان الشيخ مبارك كان قد بدأ يفاوض رئيس الخليج الوكيـل السياسي لبريطانيـــا في بوشهر ، فسمع هذا قصته وشكواه متجاهلاً ما كان من زميله في البصرة .

انها لرواية محزنة مضحكة معاً . لجأ اولاد القتيلين اولاً الى حمدي باشا والي البصرة ، فلجأ القاتل إلى رجب باشا والي بغداد . ثم لجأ طالبو الثار الى قنصل بريطانيا في البصرة : فلجأ مبارك الى وكيلهـا السياسي على شاطيء العجم . وكانت بريطانيا تمثل بوساطة ممثليها دورين معاً ، دور المدعي العمومي ودور محامي الدفاع .

ضغطت الدولة العثمانية على مبارك فطلب الحماية البريطانية دفاعاً عن نفسه ، فلبت بريطانيا طلبه حباً وكرامة . لا تدع يسراك تعلم بما تفعله يمناك . عندما وصل المركب الحربي العثماني الى الكويت يقل نقيب البصرة وبعض موظفي الدولة وهم يحملون الى الشيخ مبارك امرها العالي ويبغون تنفيذه ، جاء مركب حربي اخر ينقذ الشيخ مبارك ويطرد المركب العثماني من مياه الكويت .

اقف عند هذا الحد في المأساة لاعود الى اولها . قلت ان رجلاً آخر غير ابناء القتيلين خرج على الشيخ مبارك وقام ينصر اولادهما . هذا الرجل هو الشيخ يوسف آل ابراهيم من كبار تجار الكويت . قد كان يوسف بنفسه ثورةً، ودولةً ، وحرباً على مبارك ، استمرت عشر سنين . فوقف ثورته ، ووقته ، وحياته للاخذ بالثأر . اجل ، قد كان هو الباذل المال ، وهو القائد للرجال ، وهو رسول قضيته الى الدولة العلية والى امراء العرب .

اول ما باشره حرباً هو انــه جهز اسطولاً من السفن المشحونة بالرجال المسلحين وتولى قيادته في الهجوم بغتة على الكويت . ولكن ليلة دنا من الاسكلة رآه احـد النوتيين ، فحمل الخبر الى الشيـخ مبارك ، فاستعد لملاقاته وكانت المدينة معه . فلما علم يوسف بان المدينة مستعدة كذلك لمحاربته قفل راجعاً ، ولجأ بعد ذلـك الى الخدعة .

جاء ببعض قاطعي الطرق واوعز اليهم ان يأخذوا سفينة من اسطوله ويدخلوا بها الكويت ، فيظنهم الشيخ مبارك من اعداء يوسف آل ابراهيم ، فيقربهم منه فيقتلوه . تمت المؤامرة على هذا الوجه ودخل المتآمرون الكويت بسفينة من سفن يوسف آل ابراهيم يدعون انهم غنموها بالمحاربة ، فانطلت الحيلة على الشيخ مبارك ، فقرب الرجال منه وجعلهم من حرسه الخاص . لكن واحداً منهم تاب الى ربـه وراح يطلع الشيخ مبارك على الدسيسة . فامر الشيـخ بالقبض على هـؤلاء الرجال وبنفيهم من البلاد .

لجأ بعد ذلـك يوسف آل ابراهيم الى الدولة العلية فسافر الى الحجاز يستعين بشريف مكة، وكان في مساعيه السياسية عوناً للسياسة

انكلترا في المسئلة ، او بالاجرى كانت سياسة انكلترا عوناً له . فصدر ذاك الامر الذي حمل الشيخ مبارك على ان يطلب الحماية البريطانية ، فأسقط في يد ابن آل ابراهيم للمرة الثالثة .

ولكن الفشل وان تعدد لم يكن ليثنية عن قصده ومرامه . فقد سعى لدى امير الجبل الامير عبد العزيز بن الرشيد فاغراه بعدوه في الكويت ، فشن ابن الرشيد الغارة على عشائرها ، فبادر الشيخ مبارك الى الدفاع بما عنده من قوة . وكانت هذه فاتحة الخير لآل سعود الذين كانوا مقيمين يومئذ في الكويت ، فتطوعوا في حرب اعدائهم بيت الرشيد . جهز الشيخ مبارك جيشاً اولاً لعبد العزيز سلطان نجد الحالي ، ثم جيشاً آخر بقيادة اخيه حمود بن الصباح ، ثم خرج مبارك بنفسه يقود الجيش الثالث ومعه الامام عبد الرحمن آل فيصل والد السلطان عبد العزيز . فالتقى الفريقان واحتربا احتراباً شديداً في اخر ذي العقدة سنة ١٣١٨ ﻫ (١٩٠٠م) في مكان يسمى الصريف ، فقتل خلق كثير من الفريقين وكان النصر لابن الرشيد .

بعد وقعة الصريف خرج ابن سعود عبد العزيز في نفر قليل من الرجال يبغي استرجاع الرياض عاصمة اجداده التي كانت يومئذ في حوزة ابن الرشيد فذبح عامله فيها واستولى عليها . وكانت هذه الغزوة فاتحة غزوات وحروب ادهشت العرب في شبه الجزيرة وخارجها ، فاعجب العدو والصديق بنبوغ ابن سعود ، بشجاعته واقدامه ، وبحكمته وحلمه .

وعندما بُشر مبارك بفتح الرياض خاف ان يعيد ابن الرشيد الكرة عليه فبعث بنجدة الى عبد العزيز الذي كان قد فاز ايضاً بنصرة

هل الرياض ، فخرج منها بجيش كبير ، وشرع يحارب ليسترجع ملك اجداده . فقُتل الامـــير عبد العزيز الرشيد في وقعة « روضة مهنّا » في سنة ١٣٢٤ هـ [١] . وكان قد توفي في السنة السابقة اي سنة ١٣٢٣ هـ الشيخ يوسف آل ابراهيم فاستراح مبارك من عدويه ، واخـذ نفوذه يمتد بعد ذلك الى البادية ونجد .

كان الشيخ مبارك في سياسته مثله في حروبه موفقـــاً منتصراً . فامتد نفوذه الى البصرة والمحمرة وكانت كلمته مسموعة في ابي شهر . على انه مع تلك السياسة وذاك النفوذ لم يكن في اعمـــاله شيء يذ كر من النفع العام . فقد بنى مسجداً واحداً وقصوراً عديدة ، ولكنه لم يهتم بالتعليم ولا ساعد في بناه مدرسة . اضف الى ذلك انه كان يرهق بالضرائب الرعية والتجار .

اما اتفاقه مع بريطانيا فخلاصته ان الشيخ مبارك تعهـــد بان لا يكون للكويت علائق مع حكومة اجنبية غيرهـا اية كانت ، وهي تعهدت ان تحمي الكويت من كل اعتداء خارجي من البحر وليس من البر فلا تتدخل في شؤون العشائر ورؤسائها :

وقد تبع هذا الاتفاق في آب ١٩١٣ م اتفـــاق بين الدولتين البريطانية والعثمانية بخصوص الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان. فتنازلت الدولة العثمانية عن حقوقها في هذه الاساكل كلها ، واخذت الدولة البريطانية على عاتقها انارة الخليج وخفارته . اما الكويت فظلت علائقها مع انكلترا على حالها حتى سنة ١٩٢٥ عندما تقرر ان يُحاكم الاجانب فيها في دار الوكالة البريطانية .

توفي الشيخ مبـارك في محرم سنة ١٣٣٤ هـ . (١٩١٥) .

---

(١) راجع تفاصيل هذه الوقعات في تاريخ نجد الحديث .

فخلفه ابنه جابر الذي لم يحكم غير سنة وشهرين . وكان جابر كريم السجايا يحبه الناس . فقد الغى من ضرائب ابيه المتعددة ، التي يستغرب مثلها حتى في ايام الحرب في تركيا ، ما يتعلق منها بالاملاك . اذ ان مباركاً كان قد فرض ضريبتين باهظتين الواحدة عن كل عقـار يبـاع وهو ثلث الثمن ، والثانية عن كل عقـار يؤجر وهي ثلث الاجرة . وكانت تكرر الضريبتان على العقار كل مرة يكون الايجار او البيـع .

اما سالم الذي تولى الحـكم بعد وفاة اخيه سنة ١٣٣٥ هـ وحكم مدة الحرب العظمى كلها فقد اشتهرت ولايته بامرين هما اتساع تجارة الكويت ونكبة الجهرة . فجاء في الاول البرهان على مقدرته التجارية ، وجاء في الثاني الدليل على ضعفه في السياسة .

اما التجـارة فقـد كان الشيخ سالم رغم الاتفـاق بين انكلترا والكويت ، يسمح بدخول البضائع التي كانت تصـدر من بلاده الى الاتراك في العراق وفي سوريا . فاتسعت لذلك التجـارة برغم ارادة مأمور الحصار الذى عينته الحكومة البريطانية للمراقبة في الكويت ، وبرغم المال الذي كانت تدفعه لرؤساء العشائر مثل ضاري بن طواله وغيره ليصادروا القوافل في البادية .

كان الشيخ سالم خشن البادرة ، صعب المراس ، متصلب الرأي ، فلا ينتصح ولا يعتدل . وكان فوق ذلك سديد النزعة في الدين اي انه كان يكره الوهابيين والاخوان ولا يتقي . فأدت هذه الخصال فيه الى خلاف بينه وبين سلطان نجد أدى الى النكبة التي أشرت اليها . ذلك ان بضعة الاف من الاخوان هجموا على الجهرة ، فذبحوا مئـات من اهلها وقتل منهم مئات ، وحاصروا الشيخ سالماً في قصره هناك فلم ينجُ

الا بحيلة احتال عليهم بها .

تدخل الانكليز فردوا الاخوان عن الكويت . ثم تدخل الشيخ خزعل فارسل احد انجاله مع الشيخ احمد الجابر الذي انتدب ليفاوض السلطان عبد العزيز بالصلح فساعدتهم بالمفاوضات الاقدار ، اذ بينما كانوا في الرياض في شتاء ١٣٣٩ ﻫ ١٩٢١ توفي الشيخ سالم وانتخب الشيخ احمد الجابر خلفاً له .

ان الوراثة او الانتخاب في آل الصباح يكون غالباً باتفاق بين الاسرة والحكومة البريطانية . على ان مباركاً رشح ابنه جابراً لولاية العهد دون ان يستشير الانكليز . ثم تولى سالم الحكم لانه يلي جابراً في السن ، ولم يخلُ انتخابه من تدخل الوكيل السياسي ولو في سبيل التحقيق . فقد سأل اعضاء الاسرة والمتوجهين من الاهالي اذا كانوا راضين بالشيخ سالم فاجابوا بالايجاب .

اما اذا كان تدخل الوكيل السياسي في الكويت لا يتجاوز المراقبة والاستشارة فهو في غيره من الاقطار العربية ، كما سترى ايها القارىء في البحرين ، يتجاوزها ، اذا اقتضت المصلحة ، الى ما فيه الامر والارهاب .

احمد الجابر آل الصباح

امراء الكويت من آل الصباح

١ ــ الصباح الاول . حكم في القرن الثاني عشر للهجرة والمرجح انه توفي سنة ١١٩٠ .		
٢ ــ عبدالله الاول	توفي سنة ١٢٢٩ هـ .	
٣ ــ جابر بن عبدالله (جابر الاول)	تولى الحكم سنة ١٢٢٩ هـ .	
٤ ــ الصباح بن جابر (الصباح الثاني)	« « سنة ١٢٧٦ هـ .	
٥ ــ عبدالله بن الصباح (عبدالله الثاني)	« « سنة ١٢٨٣ هـ .	
٦ ــ محمد بن الصباح	« « سنة ١٣٠٩ هـ .	
٧ ــ مبارك بن الصباح	« « سنة ١٣١٣ هـ .	
٨ ــ جابر بن مبارك (جابر الثاني)	« « سنة ١٣٣٤ هـ .	
٩ ــ سالم بن مبارك	« « سنة ١٣٣٥ هـ .	
١٠ ــ احمد بن جابر الحاكم الحالي	« « سنة ١٣٣٩ هـ . (١)	

(١) اي ١٩٢١ م.

مشكل الكويت

معمل الشراع – مصنع السفن – العمال والنوتيون يشتغلون – سفن التجارة والغوص – اللؤلؤ – مدينة تجارية – المسابلة – أهل نجد – التجار والبدو – امانة الاعرابي – المسابلة في نظر السلطان عبدالعزيز – جمارك نجد – أهل نجد يمتنعون عن المسابلة – المسابلة في نظر المسابلين – طلب سلطان نجد يرفضه حاكم الكويت – الحق مع الكويت – كتاب الى السلطان عبد العزيز اقترح فيه طريقة التسوية – وفد الكويت في الرياض – كتاب من السلطان : « مسئلة الكويت تحل قريباً حسب رغائب الجميع » .

من رواق القصر نشرف من مشهد على مشاهد العمل في الكويت . فان في ساحته الفسيحة المرتكز بها العلم الاحمر وقد كتب عليه « الكويت » تجد دائماً عدداً من الناس جالسين على الارض حول شراع مبسوط . وغالباً تجد ثلاثة او اربعة اشرعة كبيرة والى كل منها عشرة ونيف من النوتيين يشتغلون فيها ، يخيطون جديداً او يصلحون قديماً منها . هوذا معمل الشراع الذي يعيش في ظله اكثر ابناء الكويت .

ووراء الساحة اذا ما سرحنا النظر في السيف امامنا نرى السفن والادقال وقد اكتظ واشتبك بعضها ببعض ، وفيها العمال يصلحون قويماً او يدقون [1] سفينة جديدة . هناك مصنع السفن التي تبحر في الخليج وتوصل حبل التجارة بين الهند والعراق ، وبين الاساكل العربية والفارسية ، فترسو حيث لا تستطيع المراكب البخارية ،

(١) دق السفينة بناها في اصطلاحهم او استأجر من يبنيها .

وتحمل الصادرات والواردات من شاطىء الى آخر باجور لا يستطيع البخار ان يجاري الشراع بها .

ان سفن الكويت مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعها . وهي على انواع ، منها للعبور والتنزه ، ومنها للحمولة ، ومنها للغوض . الكبيرة مثل البوم والجلبوت تصنع بالخشب المقلفط [١] المطلي بالقار ، ثم تغشى بالواح من الساج ، وتنقش عرشتها من الخارج نقشاً انيقاً لطيفاً . اما البوم التي تدعى ايضاً البغلة فهي اكبر السفن واجملها وابعدها ابحاراً ، فلا يقل طولها عن الثلاثين ذراعاً وعرضها الاعلى يتراوح بين الثمانية والعشرة الاذرع ومحمولها مئتا طن ، وهي تصل في اسفارها حتى الى جزائر مدغسكر وزنجبار .

بيد ان اكثر السفن والمراكب التي نراها في الكويت تستخدم لاستخراج اللؤلؤ في موسم الغوص ، وللتجارة بين الهند والعراق . فتخرج من الكويت غالباً فارغة وتعود ملأى اليها . ذلك لان الكويت مدينة من مدن اللؤلؤ على الخليج ، وقلما يقرن اللؤلؤ بمصدر آخر من مصادر الثروة . هذا مالها تشتري به ما يلزمها من ضرورات المعيشة ونوافلها . ليس في بر الكويت غير المفالي ، وليس فيها او في جوارها شيء يذكر من النخيل ، فهي تضطر ان تجلب حتى التمر من البصرة و من القطيف .

ولكن عندها كما قلت اللؤلؤ الذي تزيد قيمته على قيمة ما تحتاج اليه من مأكول وملبوس ، فتشتري بالزيادة للاتجار وعندها السفن تحمل الى تجارها ما يشاؤون من البنادر القصية ، فضلاً عن البواخر التي

(١) قلفط السفينة او جلفطها هو ان يدخل بين مسامير الالواح وخروزها مشاقة الكتان وقد غُمست بالزيت والقار .

تجيئهم بالاحمال الكبيرة من الهند .

الكويت اذن مدينة تجارية . بل هي مثل جيزان او ميدي على البحر الاحمر ، وان كانت تزيد عليها في عدد السكان عشرة اضعاف ، اذ لا تقوم تجارتها او تنمو بمن فيها فقط . فلو اتكلت الكويت على سكانها وعلى العشائر في باديتها لما كانت تجارتها ربع ما هي او بالحري ربع ما كانت اما السبب في سوء حالها في السنتين الاخيرتين [1] فاذا سألت عنه التجار هناك يجيبونك بكلمة واحدة : المسابلة .

وما هي المُسابلة ? سأكفيك مؤونة التفتيش في القاموس فقد لا تجدها فيه . المُسابلة هي ان يجيء العرب الى المدينة فيسابلون تجارها اي يشترون منهم نسيئة ما يحتاجون اليه من ملبوس ومأكول . وغالباً يجيئون في الصيف فيشترون ما يلزمهم في فصل الشتاء كله ، ويدفعون ثمنه بعد ان « يصلحوا » مواشيهم اي يربعوها ويستثمروها في اواخر الربيع .

اكثر من يجيئون الكويت للمسابلة هم من نجد من رعايا ابن سعود . يجيئونها ويفضلونها على البصرة والزُبير لاسباب اولاً لانها اقرب . ثانياً لانهم يجدون في اسواقها دائما ما يحتاجون اليه . ثالثاً لان تجارها يتساهلون معهم فلا يتقاضونهم دفع ما عليهم ولو مرّ على الدين سنتان وثلاث . وهم مع ذلك قلما يخسرون .

واية ضمانة يقدمها البدوي للتاجر ? قسمة بالله . فهو اذا غاب عشر سنين وعاد الى الكويت ، وليس معه غير جمله ، يجيء به الى التاجر

---

(١) كانت الواردات والصادرات في السنين الماضية تتراوح بين الخمسمئة والستمئة الف روبية كل سنة . اما في السنتين الاخيرتين فهي تقدر بثلاثمئة الف روبية سنوياً.

قائلاً : هذا حلالك . واذا مات الاعرابي قبل ان يفي ما عليه ، وكان قد نما ماله اي مواشيه ، يجيء احد ابنائه او انسبائه بما يكفي منها لتسديد الدين او بعضه ، فيقدمه للتاجر قائلاً : هذا حلالك من فلان . ترحّم عليه. هي ذمة الاعرابي !

ان رغبة تجار الكويت في المسابلة اذن لمثل رغبة اهل نجد . وهم يستطيعون ان يتساهلوا بدفع المال اكثر من سواهم لان رأسمالهم اكبر بسبب مدخول الكويت الآخر من تجارة اللؤلؤ .

هذه هي احدى وجهات المسابلة . وهناك اخرى هي وجهة السلطان عبد العزيز . ان لسلطنة نجد جمارك ثلاثة في العُقير والقطيف والجُبيل، فهو لذلك يفضل ان يجلب اهل نجد بضائعهم من احدى هذه الاساكل النجدية في الاحساء او ان يسابلوا فيها خصوصاً في القطيف . على انه ليس في القطيف تجار ذوو يسار فيستطيعون ان يعاملوا النجدي كما يعامله تاجر الكويت . والسلطان عبد العزيز يدرك ذلك .

ومع ذلك فقد نهى رعاياه منذ سنتين عن المسابلة في الكويت فانتهوا ، فتأثر التجار من ذلك وشرع الشيخ احمد يفاوض في القضية الرياض . اما موقف عظمة السلطان فهو ان رعاياه يشترون من الكويت ويعودون بما يشترون الى نجد دون ان يدفعوا عليه رسماً . فكأنهم بهذه الطريقة يهربون البضائع ليتخلصوا من دفع الرسوم الجمركية . وبما انه لا يستطيع ان يؤسس الجمارك في البادية على حدود نجد والكويت المترامية الاطراف ، وبما ان لسلطنة نجد موانىء فيها جمارك فقد اصدر أمره ان تكون المسابلة في احداها .

ولكن هناك وجهة اخرى لهذه القضية وهي وجهة اهل نجد

وخصوصاً البدو الذين لا يستطيعون ان يدفعوا نقداً ثمن ما يشترون هي الحال غالباً اذا جاؤوا القطيف المسابلة. فهم مثل التجار متأثرون، وبما ان السلطان عبد العزيز يهتم بشؤون البدو اهتماماً خاصاً ويكره الجور والارهاق فقد اقترح اكراما للفريقين المسابلين، النجديين والكويتيين، ان يعين في الكويت وكلاء له يجمعون رسماً على كل ما يشتريه اهل نجد فيدفعوه قبل ان يخرجوا البضائع من المدينة. وطلب ان يكون هذا الرسم سبعة بالمئة. فرفض الشيخ احمد الطلب محتجاً بحق السيادة لقطر الكويت المستقل، فمثل هذا العمل مجحف بها، ولا يكون الا اذا أكرهت الكويت عليه فيُعدُّ اذ ذاك ضرباً من الاحتلال. هو مصيب في احتجاجه ولحسن الحظ ان السلطان عبدالعزيز والشيخ احمد متحابان فلا يتخذ الواحد منهما خطة تؤدي الى تراخي العلائق الودية وانقطاعها.

لذلك بعث السلطان الى الشيخ يقول: نحن لا نقيم احداً من قبلنا عندكم ولكننا نوكلكم في الامر، فتعينون من قبلكم من يجمع الرسم المطلوب من اهل نجد المسابلين، فترسلونه الينا كل ثلاثة اشهر او كل ستة اشهر او كل سنة كما تشاؤون. ولكن الاكثرية في آل صباح لا يقبلون حتى بمثل هذه التسوية لانهم كما قال احدهم ليسوا جباة خراج لسلطان نجد.

كانت المفاوضات قد وصلت الى هذا الحد عندما وصلت الى الكويت، وكان الشيخ احمد على شيء من القلق لتعقد القضية ثانية بينا هو يعالجها بالتؤدة والحكمة. فخطر لي بعد ان مررت بقسم من الارض في تلك النواحي وعرفت الحقيقة الاولى التي تتعلق بالاسفار هناك، وبعد ان درست المسئلة ورأيت ان ما يطلبه السلطان عبدالعزيز

من حكومة الكويت هو في الحقيقة مجحف باستقلالها ، ان اكتب اليه كتاباً اقترح فيه حلاً للمشكل قد يرضي الطرفين .

اما الحقيقة التي تتعلق بالاسفار والتي لا ينكرهـــا العارفون بتلك البلاد فهي ان القوافل الخارجة من الكويت لا تســـير الا في طريق معلومة ، غرباً كانت ام جنوباً ، فتمر بماء معلوم لتستقي قبل ان تدخل المفازات . فاما ان تسير عن طريق الجهرة مثلاً اذا كانت مسافرة الى القصيم ، واما عن طريق الصُبيحية اذا كانت وجهتها الحسا . وهناك طريق اخرى تمر بخبرة الدويش . ان حدود الكويت ونجد تنتهي الى هذه الاماكن الثلاثة او في جوارها .

فكتبت الى السلطان افصح عن رأيي في المسألة واقترحت عليـه ، حباً بحفظ الصداقة بينه وبين آل الصباح ، ان يقيم ثلاث نقط جمركية في الاماكن المذكورة اعلاه فيتمكن من تحصيل الرسوم على البضاعة التي تدخل من الكويت الى سلطنة نجد . ان هذا العمل لا يكلف غير الخيام ورواتب ستة موظفين وبعض النجابة .

ويظهر ان المسألة دخلت بعدئذ في طور جديـد لان الشيخ احمد باتفاق مع الاهالي بعث ابن عمه الشيخ عبدالله السالم الى السلطان عبد العزيز يحمل منه كتاباً يفصح عن خالص الولاء والاكرام ومعه هدايا كبيرة من الارز والسكر والبن . فخرج السلطان بحاشيته لاستقبال الشيخ عبدالله خارج الرياض واركبه معه في السيارة وانزله في القصر ضيفاً كريماً مبجلاً . فاقام هناك بضعة ايام وعاد الى الكويت مسروراً جداً ، يحمل الهدايا الثمينة وشيئاً مما اشتهر به عظمة السلطان من تلك الصراحة المقرونة باللطف والاكرام .

وقد جاءني من عظمته كتاب يقول فيه جواباً على اقتراحي : اما مسألتنا مع الكويت فهذه تحل قريباً حسب رغائب الجميع وعلى احسن ما يكون ان شاء الله .

الشيخ احمد الجابر آل الصباح

الرجل المسالم – القوة المدخرة في اللين – الشيخ احمد في انكلترا – اعجابه بالمدنية الغربية . اما رجال حكومتها .– مداراته للانكليز – استشارة لا امتثال – امتياز البترول – الشركة التي يفضلها – يحترم رأي الغير – حكمة كل يوم – الكويت بين شاقوفين – أصحاب الدسائس – الحاكم الحكيم – خطة اللين والمسالمة – ثروة الكويت الحقيقية – المدارس – النهضة الادبية – أدباء الكويت وسفنها – رسل العلم والتهذيب .

الشيخ احمد رجل مسالم لين الجانب ، دمث الخلق ولكنه في لينه بل في المعروف والحسنى يصل الى حد ُيساء في الحاكم فهمه . فهو اذا مال الى السلم والولاء ، او الى المهاودة والوفاق ، لا يشفع ميله بتلك الكلمة التي فيها العزم الرابض او القوة المدّخرة . وقد يألف العزم الربوض فيتعثر انهاضه ، وقد تهن القوة من الادخار الدائم . الحكيم من مرّن قواه كلها حتى الحيوانية المحضة واستخدمها من حين الى حين .

الشيخ احمد مثل الشيخ خزعل ومثل الملك فيصل معجب بالمدنية الغربية وبرجالها . وهو من امراء العرب الذين لبوا دعوة الملك جورج الخامس بعد الحرب العظمى ليزوروا انكلترا ، فنزل ضيفاً على الحكومة ، وساح في تلك البلاد ، وشاهد من مظاهر الرقي والعمران المادية والمعنوية ، من مناجم الفحم الى المتحف البريطاني ، ما لا يزال يلهج بذكره ويود لو كان للعرب جزء يسير منه . ولو

لم يكن حاكم الكويت وكانت تلك الرحلة دليله الوحيد الى المدنية الغربية لاخذ منه الاعجاب كل مأخذ فتغيب عنه الحقيقة كلها او القسم الاهم فيها .

ولكنه ، وهو حاكم عربي ، يشاهد احياناً في رجال تلك المدنية ، خصوصاً رجال الحكومة منهم ، ما لا تجيزه احكامها ولا تبرره دائماً مبادئها . فالوكيل السياسي البريطاني مثلاً صاحب مصلحة مثل غيره من الناس شرقيين كانوا او غربيين . هو لا يختلف عنهم بغير الواسطة ، والاسلوب ، والعدة العقلية او المادية . ومتى كان قريباً من امير عربي ، وله بالدنو منه ومن شؤونه بعض الحق ، يود الامير احياناً لو لم يكن الرجل متمدناً او من امة متمدنة فيعامله اذ ذاك كما يعامل البدو ، بالحسنى اولاً والا فبالصميل .

الشيخ احمد الجابر آل الصباح يداري الانكليز ولا يملّكهم منه يلين لوكيل بريطانيا في الكويت ولا ينكسر . قد يستشيره ويقبل رأيه في ما يراه نافعاً لبلاده او معززاً لسياسته ، ولكنه لا يأتمر بأمره . مثال ذلك ان حكومة بريطانيا رغبت الى الشيخ احمد ان يمنح شركة الزيت في عبّادان امتيازاً في الكويت فأبى ذلك لانه يفضل ان يمنح الامتياز شركة اخرى بريطانية مستقلة عن الحكومة ولا دخل لها بالسياسة ، وشروطها احسن من شروط شركة عبّادان .

وهو في سلوكه مع رعاياه واسرته مثله في سلوكه مع الانكليز ، يستشيرهم ويتفاوض معهم ، ولا يتبع دائماً الرأي العام . ولكنه لا يزيف ما لا يريد ولا ينعي على الناس اراءهم . لكل كلام مقام ، اي ان حكمة كل يوم هي حكمته . وكثيراً ما يكون الرجل

العادي في كرسي الحكم انفع لأمته وبلاده من الرجل الشاذ الشديد المراس .

لا ينتظر من الشيخ احمد وخصوصاً في هـــذه الايام ان يخرج بعشائره فيحارب مثل جده مبارك امراء العرب ويدخل البـلدان فاتحاً منصوراً . واليك الاسباب ، اولاً : لان الشيخ احمد وان كان يحمل السيف هو أميل الى اليراع وأحب شيء اليه السلم والاداب . ثانيا : لان عشائره وهي قليلة لا تمكنه لو قال السيف من ان يقول كذلك النصر . قد تلبيه فتُغلب فتنقلب عليه . ثالثا : لان الاحوال اليوم هي غيرها منذ خمس عشرة سنة ، فالكويت التي لعبت بولاة لدولة في الشمال ، وحاربت امراء العرب ومشايخ القبائل في القصيم والاحساء ، اصبحت اليوم بين امتين متحدتين ، وقوتين قاهرتين ، وحكومتين طامعتين بالاستيلاء . ان الكويت بين نجد والعراق لمثل فتاة بين عاشقين ، وكلاهما يبغيها .

حدثني احد رجال الحكومة في بغداد قال : الكويت جزء من العراق واهلها يفضلون الانضمام الينا . اراد بذلك ان الكويت تفضل العراق على نجد اذا كان من ضم وانضمام . وان لم يكن الشيخ احمد كما وصفت ، لكان ظفر اصحـــاب الدسائس بما يبغون ، لان الذين يغرون العشائر خارج هذا القطر فيهجمون عليه او على عشائره ، لا يرومون من ذلك غير ذاك الحادث الذي قد يكون فيه خاتمة استقلال الكويت الاداري .

والشيخ احمد مدرك ذلك ، فلا يذهب مع التيار ولا يستسلم الى الهياج العـــام . فهو اذا هجمت عربان نجد او العراق على عشيرة من عشائر الكويت او على المدينة ، وقام الاهالي يستنفرون بعضهم

بعضاً ، تسلح بالحكمة والعزم في وجههم فيصدهم ويسكن روعهم مثال ذلك هجوم ابن حثلين شيخ مشايخ العجمان في هذه السنة. فبادر اهل الكويت الى السـلاح فصدهم الشيخ احمد وردعهم قائلًا : لنفاوض اولاً ابن سعود ، صديقنا . والذي اظنه انه غـير راض عن هذا الاعتداء . فاذعن الناس له وفاوض السلطان عبد العزيز فجاء منـه الجواب يقول انه متأسف جداً لما حدث وانه مستعد ان يعوض على الكويت كل ضرر .

قد يختلف الناس في هـذه الخطة السياسية ، خطة اللين والمسالمة . وفي الكويت مَن لا يستحسنها . بيد انهم يتيقنون اذا مـا ذكروا سياسة سلف الشيخ احمد ونكبة الجهرة ، ان في دار الحكم اليوم رجلًا اقل مـا يقال فيـه انه محافظ على سلامـة الكويت واستقلالها .

ومهما كان من امر الكويت ومشاكلها التجارية والسياسية فان فيها غير التجارة ثروة وغير اللؤلؤ كنزاً. فيهـا ذكاءٌ وجرأة وأدب شاهدت منه نماذج جميلة في الحفلات التي اقيمت هناك وفي المجالس .

ومهما كان من منزلة الشيخ احمد في السياسة فانه في المساعي الثقافية مذكور وان لم يكن من الجميع مشكوراً . وسيعرف عهـده بعهد النهضة الثقافية التي تشرف العاملين في سبيلها . أجل ان في الكويت نهضة لها ركنان ، المكتبة الاهلية هناك والمدارس النهارية والليلية ، وهي تتغذى فوق ذلك بما تثمر العـلوم والآداب العصرية في سوريا ومصر . ثم تبث روحها في الربوع التي لا تصل اليها الجريدة والمجلة ، ولا ينفع فيها الكتاب لان ليس فيها اليوم مدارس .

أجل ، كما ان سفن الكويت الشراعية تصل الى الاماكل التي

لا تدنو منها البواخر الكبيرة ، فكذلك ادباء الكويت في اختلاطهم مع البدو واسفارهم في داخل البلاد العربية يستطيعون ان ينشروا روح العلم والتهذيب ، وروح القومية السليمة ، في العشائر والبوادي وفي لمدن الكبيرة وراء الدهناء والنفود .